

الملائكة والشياطين  
المحاضرة ١: الجوقة السماوية  
أ.ر. سي. سرول

سَنبَدُ اليَوْمِ سِلْسِلَةً جَدِيدَةً. وَهَذِهِ السِّلْسِلَةُ مِنَ الْمَحَاضِرَاتِ سَتُرَكِّزُ عَلَى طَبِيعَةِ وَوَضِيفَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ، كَمَا تَتَجَلَّى عَبْرَ أَسْفَارٍ وَصَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

أَتَذَكَّرُ أَيَّ حِينٍ كُنْتُ حَدِيثَ الْإِيمَانِ، وَكُنْتُ طَالِبًا بِالْجَامِعَةِ، كُنْتُ أَدْرُسُ مَادَّةَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَذَاتَ يَوْمٍ، وَفِي مُنْتَصَفِ الصَّفِّ، رَفَعْتُ يَدِي، وَقُلْتُ لِلْأُسْتَاذِ بِجُرْأَةٍ: "مَا كُلُّ هَذَا الَّذِي أَقْرَأُهُ بِاسْتِمْرَارٍ عَنِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ؟" فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يَكُونُوا جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ اخْتِبَارِي الدِّيْنِيِّ. لَكِنَّ الْأُسْتَاذَ تَجَاهَلَ سُؤَالِي بِشَكْلِ مَا، وَفَعَلَ مَا يَفْعَلُهُ الْأُسْتَاذَةُ عَادَةً أَمَامَ أَسْئَلَةٍ كَهَذِهِ، فَقَالَ: "إِذَا كُنْتُ مُهْتَمًّا هَكَذَا بِالْمَلَائِكَةِ، فَلِمَ لَا تَكْتُبُ وَرَفْتَكَ الْبَحْثِيَّةَ لِهَذَا الْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ عَنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ؟" فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَا دَاعِيَ لِلْقَوْلِ إِنَّهَا كَادَتْ تَصِلُ لِحُجْمِ رِسَالَةٍ دُكْتُورَاهُ. وَفِي نِهَآيَةِ الْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ، لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَعْرِفُهُ حِينَ طَرَحْتُ سُؤَالِي عَلَى الْأُسْتَاذِ.

لَكِنَّ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، صِرْتُ مُدْرِكًا تَمَامًا لِلْمَسَافَةِ بَيْنَ الْمَنْظُورِ الْعِلْمَانِيِّ الَّذِي نَتَبَّأُهُ فِي عَصْرِنَا، وَالْمَنْظُورِ الْمُقَدَّمِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. بِالطَّبَعِ، فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، كَانَ أَحَدُ أَبْرَزِ عُلَمَاءِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي الْعَالَمِ، وَالْمَعْرُوفِ بِتَحْلِيلِهِ التَّقْدِيمِيِّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هُوَ رُودُلْفُ بُولْتَمَان. وَفِي كِتَابِ بُولْتَمَانِ الصَّغِيرِ بِعُنْوَانِ "الْكْرِيجْمَا وَالْأُسْطُورَةُ" (*Kerygma and Myth*)، دَعَا الْكَنِيسَةَ إِلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي مُمَارَسَةِ تَحْرِيدِ مَحْتَوَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ. وَقَالَ: "لَأَنَّ مَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ مَرِيحٌ مِنْ" - مِمَّا أَسْمَاهُ - "الْأَسَاطِيرِ وَالتَّارِيخِ"، وَإِنَّ هُنَاكَ نَوَآةً مِنَ الْحَقِّ التَّارِيخِيِّ فِي صَفَحَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، مَثَلًا، لَكِنَّهَا مُعَلَّفَةٌ فِي أَغْلِبِهَا بِقِشْرَةٍ مِنَ الْأَسَاطِيرِ الْبِدَائِيَّةِ. لِذَا، إِنْ أَرَادَ الْبَشَرُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ اسْتِخْلَاصَ أَيِّ شَيْءٍ لَهُ قِيَمَةٌ مِنْ صَفَحَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَجِبُ أَنْ يَخْتَرِقُوا تِلْكَ الْقِشْرَةَ مِنَ الْأَسَاطِيرِ، لِيَصِلُوا إِلَى الْجَوْهَرِ، أَوْ النَّوَاةِ، مِنَ الْحَقِّ التَّارِيخِيِّ.

وَفِي ذَلِكَ الْكِتَابِ بِالذَّاتِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ، أَبْدَى بُولْتَمَانُ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةَ: "لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعِيشَ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَيَسْتَفِيدَ مِنَ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ، بِاسْتِخْدَامِهِ لِلْكَهْرَبَاءِ، وَالطَّاقَةِ الذَّرِّيَّةِ، وَالْمُضَادَّاتِ الْحَيَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ؛ وَالاسْتِمَاعِ إِلَى الْمِدْيَاعِ، وَمُشَاهَدَةِ التِّلْفَازِ، وَإِضَاءَةِ الْأَنْوَارِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ، وَيَظَلُّ يَرَى أَنَّ الْكَوْنَ مُكَوَّنٌ مِنْ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ، هِيَ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقُ، وَالْجَحِيمُ فِي الْأَسْفَلِ، وَالْأَرْضُ بَيْنَهُمَا، وَيُؤْمِنُ بِعَالَمٍ مَأْهُولٍ بِالْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ". فَبُولْتَمَانُ، كَمَا ذَكَرْتُ،

كَانَ نَاقِدًا حَادِدًا لِلْمُحْتَوَى الْأُسْطُورِيِّ لِلكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَمِنَ الْأَبْعَادِ الَّتِي احْتَكَمَ إِلَيْهَا لِلتَّوَصُّلِ إِلَى هَذَا الِاسْتِنْتِاجِ هُوَ الْإِشَارَةُ الْمُتَكَرِّرَةُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ إِلَى ظُهُورِ كَائِنَاتٍ مَلَائِكِيَّةٍ وَعَمَلِهَا.

مُؤَخَّرًا فِي عَامِ ٢٠٠٢، حَبَسَ شَعْبُ أَمْرِيكََا أَنْفُسَهُمْ لِأَيَّامِ عِدَّةٍ، لَدَى وُرُودِ أَخْبَارٍ عَنِ عُمَالٍ مَنَاجِمٍ حُوصِرُوا تَحْتَ الْأَرْضِ نَتِيجَةَ حَادِثٍ انْهِيَارٍ، قُرْبَ سَوْمَرَسْتِ فِي بِنْسِلْفَانِيَا. وَتَتَذَكَّرُ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ عَلَى التَّلْفَازِ، حِينَ أُنْقِذَ الْعُمَّالُ أَخِيرًا، وَأُضْعِدُوا إِلَى السَّطْحِ. وَتَنَفَّسَ الْجَمِيعُ الصُّعْدَاءَ. حِينَ شَاهَدْتُ ذَلِكَ، تَذَكَّرْتُ حَادِثَةً مُمَاطِلَةً وَقَعَتْ مِنْ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي مَكَانٍ غَيْرِ بَعِيدٍ عَنِ سَوْمَرَسْتِ، فِي مَنطِقَةِ التَّعْدِينِ غَرْبَ بِنْسِلْفَانِيَا، قَرِيبًا مِنْ مَكَانٍ نَشَأَنِي. فِي الْوَاقِعِ، بُنِيَ مَنزِلِي فَوْقَ مَنجَمٍ فَحِمٍ تَحْتَ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ مَدِينَتُنَا تُدْعَى التَّلَالُ الْجَدَابَةِ. لَكِنَّ قَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتْ تُعْرَفُ بِبَسَاطَةِ بِالرُّفْمِ ٥، إِذْ مِنْهَا كَانَتِ الْمَعَادِنُ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ.

لَكِنَّ عَلَى أَيِّ حَالٍ، وَقَعَ انْهِيَارٌ رَهِيْبٌ آخَرٌ، وَكَارِثُهُ مَنجَمِيَّةٌ فِي غَرْبِ بِنْسِلْفَانِيَا. كَانَ هَذَا مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ ٤٠ سَنَةً، رُبَّمَا أَقْرَبُ إِلَى ٥٠ سَنَةً. حُوصِرَ رَجُلَانِ تَحْتَ سَطْحِ الْأَرْضِ لِفَتْرَةٍ أَطْوَلَ حَتَّى مِنَ الْحَادِثَةِ الْأَخِيرَةِ. وَظَلُّوا تَحْتَ الْأَرْضِ لِمُدَّةِ أَسْبُوعَيْنِ، وَكَانَ صَوْتُ نَفْرٍ خَفِيفٍ يُسْمَعُ، وَمُجَدِّدًا انْتَبَهَ النَّاسُ لِأَيَّامٍ وَأَيَّامٍ فِي تَرْقُبٍ وَقَلْقٍ، وَتَضَاءَلَتْ أَمَالُهُمْ فِي نَجَاةِ أَحَدٍ. وَأَتَذَكَّرُ يَوْمَ انْقِذَادِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلِقَا تَحْتَ الْأَرْضِ كُلِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَكَانَا بِحَالَةٍ جَيِّدَةٍ عِنْدَ انْتِشَالِهِمَا إِلَى السَّطْحِ. وَالْجَرِيدَةُ الصَّبَاحِيَّةُ "بِنْسِيْرَج بُوْسْت جَارِز" (*Pittsburgh Post-Gazette*) كَتَبَتْ يَوْمَ انْقِذَاؤِهِمَا عَنَاوِينَ بِالْحُظِّ الْعَرِيضِ تَقُولُ: "انْقِذَادُ عَامِلِي مَنجَمٍ بِمُعْجَزَةٍ". لَمْ تَتَرَدَّدِ الصَّحَافَةُ الْعِلْمَانِيَّةُ بِتَسْمِيَةِ نَجَاةِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، بَعْدَ قَضَائِهِمَا كُلِّ تِلْكَ الْفَتْرَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ دُونَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، بِالْمُعْجَزَةِ. وَفِيمَا كُنْتُ أَقْرَأُ الْمَقَالَةَ، وَجَدْتُ عُنْوَانًا فَرَعِيًّا يَقُولُ: "عَامِلَا الْمَنجَمِ يُعَانِيَانِ مِنْ هَلَاوَسٍ". كَانَ اسْمُ الرَّجُلَيْنِ فِيلُونٌ وَثُرُونٌ. وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ أَنَّنِي أَتَذَكَّرُ اسْمَهُمَا هُوَ أَنَّنَا أَلْفْنَا مُرَحَّةً تَقُولُ إِنَّ أَحَدَهُمَا "فِيلُ إِنَّ"، أَي سَقَطَ، وَالآخَرُ "ثُرُونٌ" أَي طَرِحَ. لَكِنَّ عِنْدَمَا أُضْعِدَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ لِلسَّطْحِ وَحَاوَرْتُهُمَا وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ، أَوْضَحَا أَنَّهُمَا تَمَكَّنَا مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ تَحْتَ الْأَرْضِ كُلِّ ذَلِكَ الْوَقْتِ لِأَنَّ مَلَكَآ اعْتَنَى بِهِمَا. وَشَهِدَ كِلَاهُمَا عَنْ ذَلِكَ. وَأَصْبَحَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ قِسًّا، وَقَضَى بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ يَجُولُ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ مُخْبِرًا النَّاسَ بِقِصَّةِ نَجَاتِهِ، وَبَاعْتِنَاءِ مَلَكَآ بِهِ. قَرَأْتُ ذَلِكَ وَقُلْتُ لِتَفْسِي: "الَيْسَ غَرِيبًا هَذَا التَّنَاقُضُ الَّذِي نَقْرَأُهُ هُنَا؟ فَمِنْ نَاحِيَةٍ، نَسَبَتِ الْمَقَالَةُ نَجَاتَهُمَا إِلَى تَدَخُّلِ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، عِنْدَمَا قَالَ الرَّجُلَانِ إِنَّ مَلَكَآ زَارَهُمَا، رَفِضَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِهِ هَلُوسَةً".

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَهَذَا الْعَصْرِ، كَمَا أَشَارَ بُولْشْمَان بِشَكْلِ وَافٍ، لَمْ يَكُنْ وُجُودُ الْمَلَائِكَةِ جُزْءًا مِنْ فَلَاسَفَةِ الْحَيَاةِ الْحَدِيثَةِ. فَهَمْ لَيْسُوا جُزْءًا مِنَ التَّصَوُّرِ الْعِلْمَانِيِّ عَنِ الْوَاقِعِ.

وَلَدًا، حِينَ نَأْتِي إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، الْمُنْعَمِ فِي مَا هُوَ فَائِقٌ لِلطَّبِيعَةِ، وَالْفَائِضُ بِالْمُعْجَزَاتِ، الَّتِي تَكْتَفَتْ بِالْأَخْصِ فِي فِتْرَةِ خِدْمَةِ يَسُوعَ وَحَيَاتِهِ، نَحْدُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ. وَمُجَدِّدًا، يَفْتَضِي الْفِكْرَ الْحَدِيثَ رَفْضَ وُجُودِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مُجَرَّدُ عَنَاصِرَ عَرَضِيَّةٍ مِنَ الشَّهَادَةِ الْكِتَابِيَّةِ، وَمَا يَهُمُّ فَعَلًا هُوَ التَّعْلِيمُ عَنِ الْخَطِيئَةِ وَعَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ.

مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَتَذَكَّرُهَا مِنْ دِرَاسَتِي الْأَوَّلِيَّةِ لِمَوْضُوعِ الْمَلَائِكَةِ، حِينَ كُنْتُ مُجَرَّدَ طَالِبٍ بِالْجَامِعَةِ، هُوَ أَيَّ بَحْثٍ عَنِ الْإِشَارَاتِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي "الْقَامُوسِ اللَّاهُوتِيِّ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ"، وَاكْتَشَفْتُ أَنَّ كَلِمَةَ "أَنْجِيلُوس"، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ الَّتِي تُتَرَجَّمُ إِلَى "angel" فِي الْإِنْجِيلِيَّةِ (أَيَّ "مَلَائِكَةٍ")، أَذْهَشَنِي أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَكْثَرَ مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُتَرَجَّمُ "خَطِيئَةً". كَمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ "أَنْجِيلُوس" فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَكْثَرَ مِنْ كَلِمَةِ "أَحَابِي"، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الرَّئِيسِيَّةُ الَّتِي تُتَرَجَّمُ "مَحَبَّةً". فَقُلْتُ: "مَهَلًا، لَا يُمَكِّنُنِي الْاسْتِخْفَافُ بِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْإِشَارَاتِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ إِلَى هَذِهِ الْكَاثِنَاتِ الَّتِي تُوصَفُ بِأَنَّهَا مَلَائِكَةٌ. فَهُمْ جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْكِتَابِيَّةِ مُنْذُ الْبَدْءِ، أَيَّ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ وَحَتَّى سَفَرِ الرُّوْيَا. وَلَيْسَ فَقَطْ أَنَّ النِّشَاطَ الْمَلَائِكِيَّ تَكْتَفَى فِي صَفَحَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ خِلَالَ حَيَاةِ يَسُوعَ، لَكِنَّا نَلْتَقِي بِهِمْ عَبْرَ تَارِيخِ الْفِدَاءِ بِرُمَّتِهِ".

كَلِمَةُ "أَنْجِيلُوس"، الَّتِي ذَكَرْتُهَا قَبْلًا، تَعْنِي بِبَسَاطَةٍ بِحَسَبِ تَعْرِيفِهَا الْأَسَاسِيِّ "مَبْعُوثًا". وَجَاءَتْ كَلِمَةُ "أَنْجِيلُوس" فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ أَحْيَانًا لِلْإِشَارَةِ إِلَى رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ. فَكُلُّ مَنْ يَحْمِلُ خَبْرًا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْعَى "مَلَائِكًا". إِذَنْ، يَجِبُ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْكَاثِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي نَدْعُوهَا مَلَائِكَةً، وَالْأَشْخَاصِ الْأَرْضِيِّينَ الَّذِينَ بِبَسَاطَةٍ يَنْقُلُونَ الرِّسَالَةَ. لَكِنِ بِشَكْلِ يَكَادُ يَكُونُ حَصْرِيًّا، حِينَ يَسْتُخْدِمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لَفْظَ "أَنْجِيلُوس"، يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى كَائِنٍ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ أَوْ سَمَاوِيٍّ، وَلَيْسَ إِلَى مُجَرَّدِ رَسُولٍ أَرْضِيٍّ. وَمَيَّزَتِ اللُّغَةُ اللَّاتِينِيَّةُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَكَلِمَةِ "نُونْسِيُو"، أَوْ رَجُلِ التَّوَصِيلِ، إِذْ جَارَ التَّعْيِيرِ.

وَحِينَ نَفْحَصُ اسْتِخْدَامَ هَذَا اللَّفْظِ، سَوَاءً فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَوْ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، نَتَمَكَّنُ مِنْ تَحْدِيدِ مَوْقِعَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ يُمَارِسُ الْمَلَائِكَةُ نَشَاطَهُمْ فِيهِمَا. يُؤَدِّي الْمَلَائِكَةُ وَظَائِفَ مُخْتَلِفَةً فِي كِلَا هَذَيْنِ الْمَوْقِعَيْنِ. لَكِنِ أَوَّلًا، دَعَوْنَا نَفَرًا بَيْنَ مَوْقِعِي الْمَلَائِكَةِ. الْأَوَّلُ هُوَ الْمَوْقِعُ السَّمَاوِيُّ لِلْمَلَائِكَةِ. جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ حَدِيثِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ لَا يُشِيرُ إِلَى نَشَاطِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ، بِقَدْرِ نَشَاطِهِمْ فِي السَّمَاءِ. وَأَوْدُ أَنْ أَقْضِي بَعْضَ الْوَقْتِ الْيَوْمِ لِتَنَاوُلِ بَعْضِ النُّصُوصِ الشَّهِيرَةِ وَالْمَعْرُوفَةِ لَدَيْنَا، الَّتِي تَصِفُ الْمَهَامَّ السَّمَاوِيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ.

دَعَوْنِي أَبْدًا أَوَّلًا بِوَاحِدٍ مِنَ النُّصُوصِ الْمُفْضَلَةِ لَدَيَّ، الَّتِي أَشْرْتُ إِلَيْهَا فِي مُنَاسَبَاتٍ أُخْرَى لِأَعْرَاضٍ أُخْرَى، وَهُوَ الْأَصْحَاحُ السَّادِسُ مِنْ سَفَرِ إِسْعِيَاءَ، حَيْثُ نَفَرْنَا عَنْ رُؤْيَا إِسْعِيَاءَ لِلْهَيْكَلِ السَّمَاوِيِّ، حَيْثُ يَقُولُ إِنَّهُ "فِي سَنَةِ وَفَاةٍ عَزِيًّا الْمَلِكِ" رَأَى السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمَلُّ الْهَيْكَلِ. وَبَعْدَمَا قَدَّمَ هَذَا الْوَصْفَ الْمَوْجَزَ لِرُؤْيَاةِ

لِلرَّبِّ مُرْتَفِعًا فِي بَهَاءِ مَجْدِهِ، تَابِعَ قَائِلًا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: "فَوْقَهُ" - أَيُّ فَوْقَ الْعَرْشِ - "السَّرَافِيمُ وَاقْفُونَ ... لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِأَثْنَيْنِ يُعْطِي وَجْهَهُ، وَبِأَثْنَيْنِ يُعْطِي رِجْلَيْهِ، وَبِأَثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ".

يَعْلَمُ كَثِيرُونَ مِنْكُمْ أَيُّ قَدَمْتُ سِلْسِلَةً طَوِيلَةً عَنِ مَوْضُوعِ قَدَاسَةِ اللَّهِ، وَإِلَيْكُمْ أَحَدَ أَهَمِّ النُّصُوصِ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ، لِأَنَّنا نَجِدُ فِيهِ أَوَّلَ ظُهُورٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِمَا يُسَمَّى "ثَرَايِزَاجِيُونَ" - أَيُّ الْقُدُّوسِ الثَّلَاثِيَّةِ، حَيْثُ تَتَكَرَّرُ صِفَةُ اللَّهِ هَذِهِ فِي رَدِّ تَجَاوُيٍّ فِي مُحَضَّرِ اللَّهِ عَلَى فَمِ كَائِنَاتٍ مَلَائِكِيَّةٍ. فَمَا فَعَلَهُ الْمَلَائِكَةُ هُنَا هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ. فَهُمْ، إِنْ جازَ التَّعْبِيرُ، الْجَوْفَةُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي تُمَجِّدُ عَظَمَةَ الْخَالِقِ الْفَائِقَةِ، مُتَعَنِّيَةً بِعَظَمَتِهِ قَائِلَةً: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ". وَتِلْكَ الثَّلَاثِيَّةُ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أُنْدَرِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، حَيْثُ تَتَكَرَّرُ عَادَةً صِفَةُ أَوْ شَيْءٌ مَا مَرَّتَيْنِ. لَكِنْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَهَذَا أُسْلُوبٌ عِبْرِيٌّ مَهْمٌ جَدًّا لِلتَّوَكِيدِ.

تَذْكُرُونَ أَنَّهُ حِينَ كَانَ رَبُّنَا يُعْلَمُ، وَكَانَ يَوَدُّ التَّشْدِيدَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ أَمْرٍ مَا، كَانَ يَقُولُ لِتِلَامِيذِهِ: "أَمِينَ، أَمِينَ أَقُولُ لَكُمْ"، أَوْ "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ". هَذَا التَّكَرُّارُ هُوَ أُسْلُوبٌ تَوَكِيدِي اسْتَعْمَلَهُ الْيَهُودُ أَحْيَانًا. لَكِنْ نَادِرًا مَا كَانَ شَيْءٌ يُرْفَعُ إِلَى مُسْتَوَى الْأَهَمِّيَّةِ الْقُصْوَى فَيَتَكَرَّرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. نَجِدُ ذَلِكَ فِي خِطَابِ إِرْمِيَا فِي الْهَيْكَلِ، حِينَ قَالَ إِنَّ رِيَاءَ الشَّعْبِ بَلَغَ أَقْصَاهُ، إِذْ جَاؤُوا قَائِلِينَ: "هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ هُوَ". وَنَجِدُهُ أَيْضًا فِي صِيغَةٍ سَلْبِيَّةٍ فِي سَفَرِ الرُّوْيَا، حِينَ أَعْلَنَ نُزُولَ غَضَبِ اللَّهِ، وَجَاءَ الْمَلَائِكَةُ قَائِلِينَ: "وَيْلٌ! وََيْلٌ! وََيْلٌ"، مُشِيرِينَ بِهَذَا إِلَى أَعْلَى مُسْتَوَى يُمَكِّنُ تَصَوُّرَهُ، أَوْ إِلَى أَسْوَأِ مَظَاهِيرِ الْبُؤْسِ الْمُمْكِنَةِ. إِذَنْ، فِي إِشْعِيَاءَ ٦، رُفِعَتْ قَدَاسَةُ اللَّهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ، مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ وَظِيفَتْهُمْ أَنْ يَجْدُمُوا فِي مُحَضَّرِ اللَّهِ.

تُثِيرُ أَهْتِمَامِي طَرِيقَةَ وَصْفِ السَّرَافِيمِ جِسْمَانِيًّا فِي نَصِّ إِشْعِيَاءَ. فَبِئْسَ هَذَا الْوَصْفُ لِلْسَّرَافِيمِ، قِيلَ إِنَّ لَهُمْ سِتَّةَ أَجْنِحَةٍ. يُسْتَعْمَلُ جَنَاحَانِ لِلطَّيْرَانِ. قَدْ تَطَّنُونَ أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأُخْرَى هِيَ مُجَرَّدُ زَوَائِدٍ بِلَا فَائِدَةٍ. لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ حِينَ يَخْلُقُ اللَّهُ، فَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي يُصَمِّمُهَا يَجْعَلُهَا مَلَائِمَةً لِبَيْئَتِهَا. فَحِينَ خَلَقَ الْأَسْمَاكَ، أَعْطَاهَا خَيَاشِيمَ وَقُشُورَ وَزَعَانِفَ، لِأَنَّ بَيْئَتَهَا هِيَ الْمِيَاءُ. وَحِينَ خَلَقَ الطُّيُورَ، أَعْطَاهَا هَيْكَلًا عَظِيمًا خَفِيفَ الْوِزْنِ، وَرِيشًا، وَأَجْنِحَةً، حَتَّى يَحْمِلَهَا الْهَوَاءُ، وَتَتَحَرَّكَ فِي الْجَوِّ دُونَ عَائِقٍ.

وَحِينَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ لِهَذَا الْعَرَضِ، أَيُّ لِلْخِدْمَةِ فِي مُحَضَّرِهِ، أَعْطَاهُمْ سِتَّةَ أَجْنِحَةٍ - اثْنَيْنِ لِتَعْطِيَةِ وُجُوهِهِمْ، وَهَذَا مَهْمٌ - فَحَتَّى الْمَلَائِكَةُ، تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ السَّمَاوِيَّةُ، عِنْدَمَا يَقْفُونَ فِي حَضْرَةِ قَدَاسَةِ اللَّهِ الْفَائِقَةِ، يَجِبُ أَنْ يَحْمُوا عُيُونَهُمْ مِنْ مَجْدِهِ، لِأَنَّ لَمَعَانَ مَجْدِهِ سَاطِعٌ - كَمَا يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ - لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يُعْمِي عُيُونَ الْمَخْلُوقَاتِ، مِثْلَمَا أَعْمَى النُّورُ عَيْنِي بُولَسَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى دِمَشْقَ. إِذَنْ، زَوَّدَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِمَا يُعْطُونَ بِهِ عُيُونَهُمْ مِنَ الرُّوْيَا السَّمَاوِيَّةِ

الَّتِي يَسْتَمِعُونَ بِهَا كُلَّ يَوْمٍ. وَنَقَرْنَا كَثِيرًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنْ بَرِيقِ مَجْدِ اللَّهِ، حَتَّى إِنَّا حِينَ نَصِلُ إِلَى خِتَامِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، عِنْدَ إِعْلَانِ نُزُولِ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ مِنَ السَّمَاءِ، نَقْرَأُ أَنَّهُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لَا تُوَجَدُ شَمْسٌ أَوْ قَمَرٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تُوَجَدُ ظُلْمَةٌ، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ وَالْحَمَلِ يُضِيءُ الْمَدِينَةَ. وَأَمَامَ هَذَا الْبَرِيقِ الْمُبَاشِرِ وَالشَّدِيدِ لِلْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ، دُعِيَ الْمَلَائِكَةُ لِيَخْدُمُوا بِتَرَانِيمِ الْحَمْدِ وَالتَّعْبُدِ.

دَعُونِي أَقُولُ إِنَّا نَعْمَلُ أَحْيَانًا عَنْ كَوْنِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يُعَلِّمُنَا بِأَنَّ عِبَادَتَنَا كَقَدِّيسِينَ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فِي اجْتِمَاعَاتِنَا لِلْعِبَادَةِ، تَنْطَوِي عَلَى سُمُوِّ رُوحَانِيٍّ. فَشَرِكَةُ الْقَدِّيسِينَ تَعْنِي أَنَّنَا لَمْ نَعُدْ مُنْفَصِلِينَ عَنْ مُحَضَّرِ اللَّهِ، كَمَا كَانَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ، حِينَ دُعُوا لِلْاِقْتِرَابِ مِنْ جَبَلِ سَيْنَاءَ، حِينَ نَزَلَ اللَّهُ لِيَفْتَقِدَ شَعْبَهُ وَيُعْطِيَهُمْ شَرِيعَتَهُ. وَلَمْ يُسْمَحْ سِوَى لِمُوسَى فِي الْبِدَايَةِ بِالصُّعُودِ إِلَى الْجَبَلِ، فِي حِينَ نُهِىَ بَقِيَّةُ الشَّعْبِ حَتَّى عَنْ لَمْسِ الْجَبَلِ، لِئَلَّا يُفْتَلُوا فِي الْحَالِ. لَكِنَّ كَاتِبَ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ يُخْبِرُنَا بِأَنَّنا لَسْنَا، أَوْ بِأَنَّنا لَمْ نَعُدْ فِي هَذَا الْوَضْعِ. فَنَحْنُ لَا نَأْتِي الْيَوْمَ إِلَى جَبَلٍ لَا يُمَكِّنُ لَمْسَهُ بِالْأَيْدِي، لَكِنَّنا نَصْعَدُ إِلَى دَاخِلِ الْمُقَدَّسِ السَّمَاوِيِّ، إِلَى دَاخِلِ أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، بِحَيْثُ حِينَ نَجْتَمِعُ مَعًا لِلْعِبَادَةِ، نَشْتَرِكُ بِشَكْلِ رُوحَانِيٍّ فِي الْوُجُودِ فِي مُحَضَّرِ اللَّهِ، وَمُحَضَّرِ الْمَسِيحِ مَعَ جَمَاعَةِ الْقَدِّيسِينَ، وَأَرْوَاحِ أَوْلِيَاءِ مُكْمَلِينَ، وَمَعَ مَنْ أَيْضًا؟ الْمَلَائِكَةُ. إِذَنْ، نَحْنُ نَكُونُ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الْجُوقَةِ حِينَ نَجْتَمِعُ لِلْعِبَادَةِ صَبَاحَ الْأَحَدِ. لَكِنَّ هَذِهِ هِيَ الْمُهْمَّةُ الَّتِي تَشْغَلُ السَّرَافِيمَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ: تَسْبِيحُ اللَّهِ فِي مَقْدِسِهِ.

نَرَى أَيْضًا أَنَّهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجَنَاحِينَ الَّذِينَ يُعْطِيَانِ الْوَجْهَ، قِيلَ لَنَا إِنَّهُمْ بِجَنَاحِينَ يُعْطُونَ أَرْجُلَهُمْ، دُونَ تَقْدِيمِ تَفْسِيرٍ مُحَدَّدٍ لِهَذَا فِي النَّصِّ. لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا اسْتِخْلَاصَ اسْتِنْتِجَاتٍ مَشْرُوعَةٍ مِنْ بَقِيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِشَأْنِ سَبَبِ تَزْوِيدِ اللَّهِ السَّرَافِيمَ بِمَجْمُوعَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْأَجْنِحَةِ لِتَعْطِيَةِ أَرْجُلِهِمْ. تَذَكَّرُوا وَاقِعَةَ اقْتِرَابِ مُوسَى مِنَ الْعُلْيَقَةِ الْمُتَقَدِّةِ فِي بَرِّيَّةِ مَدْيَانَ، عِنْدَمَا رَأَى الْعُلْيَقَةَ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ دُونَ أَنْ تَحْتَرِقَ. فَعِنْدَمَا مَالَ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا، كَلَّمَهُ صَوْتُ مَنْ الْعُلْيَقَةُ قَائِلًا: "مُوسَى، مُوسَى! ... اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ - ماذا؟ - "أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ". وَمَا الَّذِي جَعَلَهَا مُقَدَّسَةً؟ لَمْ يَكُنْ مُوسَى هُوَ مَنْ جَعَلَهَا مُقَدَّسَةً. بَلْ عَلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ نَزَلَ اللَّهُ لِيُكَلِّمَ مُوسَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْخَاصِّ. إِذَنْ، كَانَ حُضُورُ اللَّهِ هُوَ مَا قَدَّسَ هَذِهِ الْبُقْعَةَ. وَيَقُولُ - وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بِأَنْ يَخْلَعْ حِذَاءَهُ. مَا أَمْرُ الرَّجُلَيْنِ؟ إِذَا فَحَصْنَا الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، نَجِدُهُ يَقُولُ إِنَّا مِنْ تُرَابٍ. فَنَحْنُ مِنَ الْأَرْضِ - تُرَابِيُونَ - وَأَقْدَامُنَا مِنْ طِينٍ. وَأَقْدَامُنَا هِيَ الَّتِي تَرْبِطُنَا، إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ، بِالْحَلِيقَةِ، أَيِّ بِالْمَجَالِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ أَيَّامَنَا، الَّذِي مِنَ الْأَرْضِ. فَنَحْنُ مِنَ الْأَرْضِ، تُرَابِيُونَ.

وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ. وَهُمْ لَا يَزَالُونَ مَخْلُوقَاتٍ، وَعَلَامَةُ طَبِيعَتِهِمُ الْمَخْلُوقَةِ، تَمَامًا مِثْلَ عِلْمِ طَبِيعَتِنَا الْمَخْلُوقَةِ، هِيَ الْأَرْجُلُ. فَحِينَ يَمْتَلُونَ فِي مُحَضَّرِ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا خَاصًّا لِهَذَا الْغَرَضِ، لَا يُعْطُونَ عِيُونَهُمْ فَقَطْ

مِنْ مَجْدِ اللَّهِ، بَلْ يُعْطُونَ طَبِيعَتَهُمُ الْمَخْلُوقَةَ عَنْ عَيْنِي اللَّهُ، وَهُمْ يُحَلِّقُونَ فَوْقَ الْعَرْشِ، مُرْتَمِينَ بِاسْتِمْرَارٍ: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ".

هَذِهِ مَجْرَدُ إِشَارَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى نَشَاطِ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاوِيِّ. وَسَنَتَّأَوَّلُ الْمَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ الْبُعْدِ مِنْ نَشَاطِهِمْ فِي مُحَاضَرَتِنَا الْقَادِمَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيْرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ ( Reformation Bible College ). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَسَنِي الْأَلَمُ".